المقدمة :

يعيش الإنسان في هذه الحياة وفق قيمٍ مُعيّنةٍ يُطبّقها أو يَسعى للوصول إليها، كما تُعتَبر القيم نوعٌ من أنواع المُحدّدات أو الغايات، ويُعدّ الوصول إليها نوعاً من أنواع النّجاح، وعلامةٌ تُؤشّر على حسن سَيْر العمل في مَراحله السّابقة، أو ما يُطلق عليه بالتغذيّة العكسيّة أو الرّاجعة.

تعريف القيم لغة واصطلاحاً :

تُعرف لغةً بأنها جمعٌ لكلمة قيمة، وهي الشيء ذو المقدار، أو الثمن، وتُعرف اصطلاحاً بأنها مجموعة الصفات الأخلاقية، التي يتميّز فيها البشر، وتقوم الحياة الاجتماعية عليها، ويتمّ التعبير عنها باستخدام الأقوال والأفعال، وتُعرف أيضاً بأنّها مجموعة من الأخلاق الفاضلة التي اعتمدت على التربية الإسلامية في توجيه السلوك البشري للقيام بكل عمل، أو قول يدلّ على الخير.

من تعريفات القيم الاجتماعيّة هي أنّها معاييرٌ، وأسسٌ متعارفٌ عليها ضمن المجتمع الواحد، وتُشير إلى طرق تعامل الأفراد معاً، والموافقة على السلوك المقبول، ورفض غير المقبول.

أهمية القيم :

لو نظرنا إلى القيم الإسلامية؛ لأنّها هي الأسمى والأمثل والأنسب؛ لوجدنا أنّ الآيات القرآنية وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة حافلة بمجموعة كبيرة من القيم الفاضلة أبرزها الاحترام، والصدق، والوفاء، والإخلاص، وحفظ الأمانات، إضافةً إلى الشجاعة والعدل والحق، وغيرها كثيراً، فقال تعالى :"وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى"، سورة المائدة. ولهذه القيم أهمية كبيرة وتتضمن ما يلي:

- منها تتشكل شخصية الفرد، بحيث تكون متماسكة ومتزنة؛ لأنّها هكذا تسير بالاعتماد على مجموعة من القيم والمبادئ الثابتة، إضافةً إلى كونها توحد من ذاته وتقوّي من إرادته وطموحه؛ لذلك دائماً ما نرى الشخص غير الملتزم بالقيم مشتت الأفكار والنفس، ويعاني من اضطربات وصراعات نفسية.
- تجعل للفرد مكانة مرموقة بين الناس؛ لأنّ القيم تكون ثابتة، وبقدر التزام الإنسان بها يحظي بمكانة واحترام كبيرين عند الجميع؛ فتراهم يتسابقون إلى العمل أو التعامل معه حتى في أبسط الأمور.
- تعطي إحساساً بالقناعة والرضى؛ لأنّها تمنح الفرد شعوراً بالسعادة النابعة من القلب والطمأنينة، وتبعده عن مظاهر السخط والإحباط من جميع الأشياء وجميع الناس.

- تجعل الإنسان أكثر قدرة على التحكّم في نفسه، ومواجهة الأمور والصعاب، وعدم الانصياع للتيارات الفكرية والسلوكية الشائعة.

القيم الروحية :

خُلق الإنسان من روح ومادة، والله سبحانه وتعالى ييسر له في حياته سبل العيش، ويعطيه المعلومات اللازمة ليعتني بجانبه الروحي وجانبه المادي، حيث سخر له الطريق للوصول إلى حاجاته من غذاء وعلاج وملبس، كما أنه أرشده إلى طريق العبادة والإخلاص له، ويقصد بالقيم بأنها مجموعة من الأحكام العقلية الانفعالية التي تعمل على توجيه الفرد نحو رغباته واتجاهاته، مما يكسبه السلوك من المجتمع الذي يعيش فيه.

أصول القيم الروحية :

ترجع أصول القيم الروحية إلى أساس مرجعي تتمثل في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة اللذيْن يعدّان أساس مصدر التشريع وأساس الدين، حيث ينظمان حياة الإنسان في كافة شؤون حياتهم، وتعد السنة النبوية تطبيقاً عملياً للقرآن الكريم.

خصائص القيم الروحية : تتسم القيم الروحية بعدد من الخصائص، تتلخص في:

- خاصية الاستمرار، حيث يلتزم الفرد بالقيم الروحية في كافة مواقف الحياة، إذ لا يصح أن يكون صادقاً في بعض المواقف وفي بعضها كاذب.
- خاصية الثبات، حيث إن القيم الروحية ثابتة لا تتغير بفعل الزمان أو المكان، ولا تتغير بتبدل الأحوال والظروف، إذ إن الإنسان هو عامل المتغير في بعده أو قربه.
- خاصية الشمول، إذ إن القيم الروحية تعمل على توجيه سلوك الإنسان في كافة مجالات الحياة، حيث يشمل ذلك علاقة الإنسان بنفسه، وعلاقته بربه، وعلاقته بأسرته ومجتمعه وأصدقائه والبيئة المحيطة به.

وسائل تنمية القيم الروحية :

تُنمّى القيم الروحية وترسخ عن طريق الدعاء، وذكر الله عز وجل، والتمرن على فعل الخير بكافة أنواعه، وتطبيق أوامر الله سبحانه وتعالى، والعمل بتوجيهات الرسول محمد -عليه الصلاة والسلام- ، ومن هذه القيم: العطف، والمودة، والوفاء، والإخلاص، والصدق، والإحساس بالمسؤولية، ومساعدة المحتاج.

آثار التحلي بالقيم الروحية :

آثارها على الفرد تكمن هذه الآثار في تهذيب أخلاق الإنسان، وتحسين سلوكه، وشفاء النفس من الأمراض، وتحقيق السعادة، وتربية النفس على الوفاء والإخلاص والصدق وحب الخير، وتحقيق خشية الله، وترسيخ الإيمان به، وتقوي روح الإنسان على تحمل المصائب والشدائد وكافة أمور الحياة الصعبة، وتقدير عظمة الله العظيمة، وترويض النفس على فعل الخير والابتعاد عن الحسد والكره والبغض والكذب والخيانة والكراهية.

آثارها على الجماعة تكمن هذا الآثار في تحقيق العدالة الاجتماعية، ونشر المحبة والسعادة بين البشر، وزرع الثقة والأمان في نفوس الناس، والقضاء على الفساد وطرق الرذيلة بأنواعها كافّة وتحديداً الفساد الأخلاقي، والتقليل من حدّة الفرديّة من خلال ترسيخ قيم التكافل والمساعدة والتعاون والصدق بين أفراد المجتمع، ودفن الجريمة والتوتر والقلق والخوف من خلال استتاب الأمن داخل المجتمع.

دور التربية الإسلاميّة في تنمية القيم الروحيّة : -

- إنّ التربية الإسلاميّة تقوم على منهجٍ واضح يعتمد على فكرة ترسيخ القيم النّبيلة والأخلاق الكريمة في نفوس النّاس ليرتقي هذا المنهج بنفوس النّاس وأرواحهم فيباهي الله بهم ملائكته فيرفع درجاتهم ويحسن خاتمتهم ومآلهم، وإنّ منهج الشّريعة الإسلاميّة في تربية النّاس من أجل تعزيز قيمهم الرّوحيّة يكون في جوانب متعدّده نذكر منها:
- قيمة التّوكل على الله تعالى في أمور المسلم كلّها، فقد وصف الله عباده المتّقين بقوله تعالى (وعلى ربّهم يتوكّلون)، كما دعا النّبي عليه الصّلاة والسّلام إلى حسن التّوكل على الله تعالى في رزق الإنسان وسعيه وأحواله كلّها، ففي الحديث الشّريف لو توكّلتم على الله حسن توكله لرزقكم كما يرزق الطّير تغدو خماصًا وتروح بطانًا)، وإنّ تربية الإسلام للمسلمين على التّوكل لا تعني أن يتكلّم الإنسان على النّاس في حياته، أو يتّكل في عمله وسائر شأنه بل يعقلها ثمّ يتوكّل على ربّه سبحانه .
- الإخلاص في العمل؛ فالتّربية الإسلاميّة تسعى إلى تعزيز قيمة الإخلاص في العمل لدى المسلم سواء مع ربّه سبحانه أو مع العباد، قال تعالى (وادعوه مخلصين له الدّين)، وفي الحديث الشّريف عن النّبي عليه الصّلاة والسّلام (إنّ الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)، ولا يتقن العمل سوى إنسان مخلص مع الله والعباد .
- قيمة رد الجميل والشّكر على الصّنيع الحسن مع الناس، وهذا جزءٌ من الإحسان؛ فالتّربية الإسلاميّة تعمل على تعزيز هذه القيمة من خلال حثّ المسلمين على الإحسان في علاقتهم بربّهم في قوله تعالى (وأحسن كما أحسن الله إليك)، كذلك أن يشكر المسلم الناس على صنيعهم بقول النّبي عليه الصّلاة والسّلام لا يشكر الله من لا يشكر النّاس.

- قيمة الصّبر وتحمّل الأذى والتّجمل؛ فالتّربية الإسلاميّة تعزّز جانب الصّبر في حياة المسلم، فالمسلم الذي يخالط النّاس ويصبر على أذاهم خيرٌ من الذي لا يخالط النّاس ولا يصبر على أذاهم، وكذلك فقد رتّب الله سبحانه على من يلتزم صفة الصّبر جزاءً كبيرًا، قال تعالى (إنّما يوفى الصّابرون أجرهم بغير حساب).

أهَميّةٌ للقِيَم فِي مُجتَمعاتِنا :

المُشكِلةِ الحقيقيّة التي تَكمُنُ فِي حياتنا هي أنّ هُناكَ أشخاصٌ يَرفُضونَ أن يكونُوا مُختلفينَ عَن الآخرين، لأنّ هذا الأمر هُوَ ما يُمَيّز شخصاً عَن آخر مِن خِلالِ المَبادئ والقيم التي يرى أنّها مناسبة لنفسهِ وليسَ لإرضاءِ الآخرين والتمثيلِ وكسبِ رضاهِم، وليسَ مِنَ العيب أن تكون لكَ قيم لوحدِك أنتَ تبنيها مِن خلال حياتك وتجاربكَ وشخصيّتك، وليسَ مِن خِلال تجارب الآخرين وحياتهم وشخصياتهم، فحياتك هِيَ مملكتكَ أنتَ وحدك، فَضَع ما تراهُ مناسِباً مِنَ القيم التي تجدها تكوّن نفسك وتفرض شخصيّتك على الآخرين، وترى في هذه القيم راحَتُك، لذلِكَ هُناكَ أهَميّةٌ للقِيَم فِي مُجتَمعاتِنا وَهِيَ :

- مؤشّر على النضج وفهم الحياة : هناكَ دراساتٌ كثيرة تُشيرُ إلى أنّ البلاد التي تسودُ فِيها القِيَم تَكونَ أكثرَ نُضجاً وفِهماً للحياة بالإضافةِ إلى أنّها مجتمعات مبدِعَة فِي حياتها أوصلتها إلى نجاح عَظيم، وَمِنَ الأمثلةِ على هذا الأمر أنّ الولايات المتّحدة فِي الوقت الحالي مِن أكثر البلاد تطوّراً وسيطرة عسكريّة واقتصاديّة فِي العالم ولكن لماذا ؟، فَقَط لأنّ التي بَنَتها الفلسفة والعِلم والمَعرِفَة، وهذه القيم التي سارت عليها أصبحت على عرشِ الأمم في الوقتِ الحالي ومثلُها اليابان والكثير مِن البلاد، ولو رأينا كَنحنُ المُسلِمين فِي تاريخنا لَوَجَدنا أنّنا كنّا على قِمَمِ الأمم ولكن لماذا ؟ لأنّ القِيَم الإسلاميّة التي كانت مُطبّقة بالشّكلِ الصحيح وإعمارِ الأرض ونشرِ الإسلام والقيم الربانيّة التي لا خلافَ فِيها هِيَ ما جَعَلَتنا قَديماً على عرشِ الأمم، فالقيم هِيَ التي تَبني الأمّة أو تهدِمها.
- تكسبك أهميّة: خَلَقنا اللهُ تعالى مِن طين نشعر، نرغب، نَكرَه، نتعلّق، نتعلّم ... إلخ، فَكُل هذِهِ الأمور يَجِب أن تُسيّر لتجسيدِ الشخصيّة وَتُحدّد طينتكَ والقيم التي تعيشُ عليها والتي تريدُ أن تموتَ عليها، فَعَلى سبيلِ المثال الشّخص الذي يَتَمَسّك بمَبدأ أنّهُ يُريدُ أن يَعيشَ حَياةً شَريفة لا يأكُل أموالَ الآخَرين بالباطِل ولا يَسرق ولا يَخونُ الأمانة؛ فهذِهِ القيمَةِ ستجعل له قيمة عِندَ مَوتهِ وسيكونُ بطلاً، فَمَن يَعيشُ بلا مَبدأ وبلا قِيَم سَيموتُ بلا كرامة لا محالّة، وتميّزكَ عن الآخرين هو ما سيجعلكَ مختلفاً ذا شخصيّة مَنفَرِدَة ينجذب إليها الآخرين، فلا تعش كما يريدك الآخرون أن تعيش، وكما تريدُ لكَ الحياة، بل عِشهَا كَما تُريدُ أنت وستَكُونُ راضياً.
- تحديدُ مَا يَنبَغِي فِعلهُ فِي هذِهِ الحياة : مِنَ المَعروفِ أنّ الله تعالى خَلَقَنا فِي هذِهِ الحياة وفيها التّعب لا راحة للإنسان فِيها ولم يخلقنا الله تعالى فِي الجنّة، ثق تماماً أنّ الجميعُ في هذه الحياة يُحارِب مِن أجلِ قيمهِ التي يعيشُ عليها فلا تتخلّى عنها، وعلى سبيلِ المثال شَخصٌ مُتَمَسّك بمبدأ أن يعيشَ حرّاً فَكَم مِنَ المَعارِك التي سيخُوضُها فِي حياته من أجلِ أن لا يترك هذا المبدأ !!! فالحياةِ مَعرَكَة إمّا أن تَعِش لتحقيق قِيَمِك ومبادِئِك أو تَموتُ بلا كرامَة فالقرارُ بيدك.

طرق اكتسابِ القيم :

أغلبُ القِيَم تكتسب مِن خِلالِ المُجتَمعات وكل مُجتَمَع يختَلِفُ باختلافِ (نمطِ الحياة، وطريقةِ العيش، والعاداتِ والتقاليد، والديانة المتّبعة، إلخ) فَجميعُ هذِهِ الاختلافات قَد تُكسِب الإنسان بعضُ القيم، وَقَد قال سايمون دافي : (أحيانًا يكونُ مِنَ الضروري أن نتلافى المُغالاةِ فِي التفكير بالمَخاطِر والإقدام على فِعلِ الصّواب وَحَسب". "والأصوب" لديك تحددهُ القِيَم. وحينَ يَتَمّ ذلِكَ، تُصدَر أصعَبُ القرارات، معتَمِدَة على المُشاوَرَة والتّداوُل)، وَمِن خِلالِ ما قالهُ سايمون إنّ القِيَم التي تَعيشُ عليها هِيَ التي تحدّد قراراتك مَهما كانَت صَعبَة مِن خلالِ المشاورة والتداول؛ لأنّ النظريّة للأمُور قَد تتغيّر ولكن القيم لا تتغيّر، وحتّى تُبقي دائماً قراراتك صحيحة يجب عليك أن:-

- تعرف المشكلة : جميعنا نمر في مشاكل الحياة ولكن الشخص السليم ذو تفكير يعرف حدودِ المشكلة وما يتطلّبُ لحلّها.
- تعرف إمكانياتك : الله سبحانهُ وتعالى لَم يُوجِد لَنا مُشكِلة إلاّ والحَلّ بجانِبِهِ، ولا يُكَلّفُ نَفساً سِوى وسعِها، وهذا الأمر لا يشاهدهُ سِوى الشّخصُ المُتفائِل، فاعرِف ما هِيَ إمكانياتُك لِحَلّ المُشكِلة.
- ضع الحلول : ستجد أكثرَ مِن حَل لِمُشكِلَتِك؛ فَدائِماً اختر الأفضَل والصّحيح مِن خِلالِ تَشاوُرُكَ مَعَ الآخرين لِكَي تَبنِي حلولاً أفضَل.
- ضع قيمك: معرفةِ شخصيّتك وقيمك ومبادئك هي التي تجعلكَ أكثر قدرةِ على معرفةِ نفسك، فنحنُ دائماً نحتاجُ إلى موازنه ما بين قراراتنا في الحياة وبين قيمنا التي نعيشُ عليها.
- اتّخذ القرار : بعد أن تقوم بدراسةِ المشكلة اتّخذ القرار واسأل نفسك هذه الأسئلة لتعرف إذا كان قرارك صحيحاً

هل يمكنني التعايش مع هذا القرار؟

هل سأكونُ راضياً عن نفسي؟

هل أنا صادق مع نفسي؟

هل سيكون آثار القرار إيجابيّاً في حياتي؟

فإذا كانت أغلب أجوبتك بنعم، فأنتَ قد قمتَ باتّخاذِ القرار الصحيح الذي يتوافق مع قيمك.